



الفصل الثاني

إشباع حاجة الطفل

إلي الأمن والاطمئنان



❖ الأمن Security بمعناه السيكولوجي (النفسي) هو شعور المرء بقيمته الشخصية واطمئنانه إلي وضعه، وثقته بنفسه، وهو شعور ينشأ لدي الطفل في أعقاب حصوله علي نسبة كافية من التقدير والتشجيع، سيما من جانب والديه أو معلّميه أو المعنيين بأمّره.

والحاجة إلي الأمن The Need of Security هي حاجة ملحة يحتاج إليها الطفل من أمه وأبيه ومن كل الكبار حوله، ويستمر هذا الدافع حتى مع الكبار البالغين؛ لأنّ البالغ يخشي المستقبل ويريد أن يطمئن علي مستقبله، وقد نجده في سبيل ذلك يدخر مالاً، أو يعمل ليشغل منصباً يوفر الأمن والطمأنينة له ولأسرته من بعده.

كما أن المرء يحتاج إلي أن يشعر بأنّه بعيد عن الخطر، سواء أكان خطراً مادياً يهدّد حياته أو صحّته، أم خطراً معنوياً أو عاطفياً يهدّد سعادته واطمئنانه، وعلي ذلك فالطفل في حاجة إلي أن يشعر أنّ وراءه أباً أو أمّاً أو أخاً يحمونه ويدفعون عنه الخطر، ويشعرونه بالحبّ والود، ويوفرون له ما هو في حاجة إليه من مأكّل ومشرب وملبس.

والإحساس بالأمن يتأكّد في الطفولة من شعور بأن له مكاناً في المجتمع الذي يولد فيه، وله بيت يأويه، وأسرة تحتضنه تسودها علاقات مستقرة، ووثام ونظام مؤسّس من العلاقات التي تُشكّل في النهاية نظاماً مستتباً ومعروفاً.

كَمَا يَتَوَلَّدُ الشعور بالأمن من إحساس الطفل بأنَّه حينما يمرض يجد مَنْ يراعاه، وحينما يجوع يجد مَنْ يوفر له الطعام، وحينما يشعر بالبرودة يجد مَنْ يوفر له الكساء، وحينما يُجابه مشكلة أعلى من مستوي إدراكه يجد مَنْ يُساعده في حلِّها والتغلب عليها، ويُعينه علي اكتساب الخبرة.

ولعلَّ أهم ما يجمع هذه الحاجة هو شعور الطفل بانصراف والديه عنه، أو شعوره بأنَّه مُهمَل ومتروك للغير الذين تخلَّو معاملتهم من العطف والحنو.

والشعور بالأمن مسألة ثقة يكتسبها الطفل عند تفاعله مع البيئة الأسرية المحدودة التي يتفاعل معها، فتوقع الطفل رد فعل مُعيَّن من الأب أو الأم يعني استقرار العلاقة في الحاضر والمستقبل، وهذا يعني أمناً بالنسبة للطفل.

أمَّا وجود الآباء المُتقلِّبين، الهوائيين، غير المستقرين عصبيًّا، فلا يُسبِّب وجودهم أمناً أو طمأنينة للطفل، حيث إن ردود فعل هؤلاء الآباء لا يستطيع الطفل التكهُّن بها.

● الأم ودورها الحاسم في إحساس بالأمن:

يحتاج الطفل إلي أن يشعر أنَّه بمنأى عن الخطر سواء أكان الخطر مادياً يُهدِّد حياته بطريقة مباشرة، أو خطراً معنوياً يُهدِّد أمنه وسعادته.

والحاجة إلي الأمن والاستقرار من أقوى الدوافع والحاجات النفسية التي يحتاجها الطفل، وهو يعني أن يشعر بأن من يحيطون به يتقبلونه، ويعملون علي إشباع دوافعه وحاجاته • بمعنى أن البيئة المحيطة به تحوطه بالحنو والحُبِّ والرعاية، ويقوم هذا الإحساس علي الخبرات الفعلية، فلكي يكون الطفل آمناً يجب أن يحظي من الوالدين وخاصة الأم بإشباع حاجاته الأولية بدرجة كافية وفي ظروف طبيعية آمنة، وتمثّل الظروف الطبيعية في أن تكون الأم متقبلة لطفلها، حانية عليه •

وقد أوضح «أريكسون» أن تكوين الشعور بالأمن عند الطفل يبدأ منذ العام الأول، فيما أسماه «الإحساس بالثقة» • Sense of Trust فهذا الإحساس يعتمد علي أن الطفل يجد ما يتوقعه، فإذا توقع الطعام وجد ثدي الأم الذي يقضي به علي آلام الجوع، وعندئذ تكون البيئة والمُتمثّلة في رعاية الأم وحنوها، وكذا الآخرون المحيطون به محل ثقته، فيمكن للطفل الاعتماد عليهم كمصدر للإشباع الدائم كلما احتاج إليه، وهذا الإحساس هو الأساس في تكوين الشعور بالأمن •

وعلي ذلك فالأم هي صاحبة الدور المهم والحاسم في خلق إحساس الأمن في نفس الطفل، باعتبارها المنوط بها رعاية الطفل، وإشباع حاجاته في سنيه الأولى من طعام وشراب ونظافة •• وغيرها .

والأم هي رمز الإشباع عند الطفل وبالتالي، فهي مصدر الأمان الأساس ، والأم تأخذ هذا المركز المهم والمؤثر ليس بصفاتها الأم البيولوجية، ولكن بصفاتها الأم السيكولوجية التي تمنح الدفء والحب والحنان وتقوم بالرعاية والاهتمام والأمان. وبذلك تصبح الأم — باعتبارها مصدر الحنان للطفل وملأه في إشباع حاجاته — السند الانفعالي والوجداني له. فهو بلا شك يشعر بالأمان في وجودها ويفتقدها بشدة إذا غابت عنه، ولذلك يمثل رحيل الأم بالانفصال أو بالوفاة خبرة صادمة ومؤثرة في حياة الطفل الانفعالية والوجدانية. ومن الثابت نفسياً أن الشخص الذي يفقد سنده الانفعالي في الصغر يكون شديد الحرص علي طلب الأمان في الكبر.

● الذكاء.. والإحساس بالأمان:

يحتاج الطفل الذكي إلي الحصول علي مصادر أمن أكثر من أقرانه متوسطي الذكاء؛ لأنه كلما ارتفع معدل ما يملكه من ذكاء ازداد وعيه وإدراكه بالأخطار المادية والمعنوية المحتمل أن يُقابلها. وذلك فمن الضروري توفير مصادر الأمان لضمان استقرار مثل هذا الطفل الذكي وهدوئه الانفعالي في المستقبل.

أمّا إذا لم يتوفر الأمان بالدرجة الكافية، فيؤدي ذلك إلي وقوعه في دوامة الخوف ومن ثم القلق والتوتر المُصاحب له، واعتلال صحته النفسية ليجنح في النهاية إلي اللأسوية.

● تطوُّر حاجة الطفل إلي الشعور بالأمن :

أولاً: مرحلة الرضاعة (من الميلاد وحتى نهاية السنة الثانية):

الطفل في هذه المرحلة أكثر إلحاحاً في طلب الحاجة إلي الإحساس بالأمن النفسي والطمأنينة، ذلك لأنَّه لا يزال في حاجة إلي الاعتماد علي غيره، وتزداد رغبة الطفل في الإحساس بهذه الحاجة – خاصَّة في السنة الأولى – إذا ما دخل أماكن جديدة لأول مرَّة؛ لأنَّه يري فيها أشياء غير مألوفة لديه، قد تُسبِّب له الإحساس بالقلق والفزع إذا لم يكن بصحبة والديه، لأنَّ الوالدين بالنسبة للطفل – وخاصَّة في هذه المرحلة – يعتبران مصدر إحساسه بالأمن النفسي.

وتصبح هذه الحاجة مطلباً ملِحاً وضرورياً للطفل حال إصابته بمرضٍ من الأمراض، أو إحساسه بالألم أو الشعور بالتعب، أو في حالة غضبه أو بكائه، أو أي سبب من الأسباب الأخرى التي تجعله في حالة من القلق المستمر. فإذا أحس الطفل خلال هذه المواقف أنَّه موضع اهتمام ورعاية ممن يُحيطون به – وخاصَّة الوالدين – فإنَّ حاجته لإشباع شعوره بالأمن النفسي والطمأنينة يمكن أن تتحقق.

ولكي يتم إشباع حاجة الطفل للإحساس بالأمن، لا بدَّ من أن ينال العناية الكاملة أثناء عملية الرضاعة، ذلك لأنَّ الأمن النفسي مرتبط بالأمن الغذائي، فلا يمكن فصل إشباع حاجة الطفل إلي

الطعام والشراب عن إشباع حاجته إلى الأمن النفسي، ولذا يتحتم علي الأم أن تكون في حالة نفسية طيبة عند إرضاع وليدها؛ لأنَّ الهدوء النفسي الذي تتمتع به الأم حال الإرضاع الطبيعي ينعكس علي الطفل، وعلي ذلك يمكن لها أن تلمس جسم طفلها، وتتحسس شعره، وتربت علي كتفيه؛ لأنَّه بذلك ينال الأمن الغذائي ممثلاً في لبن الأم، وفي الوقت نفسه يُشبع حاجته إلى الأمن النفسي عن طريق هذه المشاعر العاطفية التي تبديها الأم لوليدها.

ولأنَّ الرضاعة مصدر أساس ومهم لإحساس الطفل بالأمن النفسي والطمأنينة، يجب علي الأم أن تتبعد عن فكرة الرضاعة الاصطناعية؛ لأنَّها لا تُعطي للطفل سوي إشباع حاجته إلي الطعام والشراب، ولكنَّه يفقد الإحساس بالأمن النفسي، وإذا ما حالت الظروف الصحية بين تحقيق الرضاعة الطبيعية للأم، فلا بدَّ من أن تكون علي درجة من الوعي والإدراك لأهمية إشباع الحاجة إلي الأمن النفسي لطفلها بمحاولة تمثيل الرضاعة الطبيعية، أي احتضان الطفل بين ذراعيها ومداعبته وإصاقه بجسمها.

وقد أشارت نتائج الدراسات في هذا المجال إلي أهمية الاتصال البدني بين الأم وطفلها أثناء إرضاعه وبين ما يشعر به من مشاعر وأحاسيس لملاصقتها إياه، في تكوين الارتباط العاطفي بينهما، وما يمكن أن يكون عليه الطفل من سواء الشخصية.

ويمكن للأم أن تدرك عن طريق الملاحظة أن الطفل ينام بعد كل رضعه، أو تبدو عليه علامات المرح والهدوء، وهي دلائل علي شعوره بالإشباع وإحساسه بالأمن، ممّا أدي إلي استرخاء أعصابه ونومه أو سروره.

وممّا تقدم يمكن القول بأنّ الطفل في هذه المرحلة يتطلّب لبناء شخصيته الإنسانية السويّة إشباع حاجة إلي الأمن والطمأنينة، ذلك لأنّها تُسهم إسهاماً إيجابياً فيما يكون عليه النمو النفسي السليم للشخصية، وما يمكن أن يتمتع به الإنسان من مستوي الثقة بالنفس والصحة النفسية السليمة.

ثانياً: مرحلة الطفولة المبكرة (من عامين إلي ستة أعوام):

وتظهر في هذه المرحلة مشاعر الخوف، فيلاحظ أن الطفل يخاف من الأشياء التي تُهدّد ذاته وتُفقدّه الإحساس بوجوده؛ ولذلك يُعتبر استمرار الحاجة إلي الأمن النفسي والطمأنينة أمراً مهماً يجعله يُدرك بأنّه محمي من أية عوامل خارجية قد تُهدّد حياته أو مستقبله، وبناءً علي هذا ينمو الطفل في مناخ نفسي يُحقق له القدرة علي المبادأة بالاتصال بغيره، ممّن هم في مثل عُمره دون خوف أو وجل، الأمر الذي يترتب عليه إحساسه بالقدرة علي إشباع حاجته إلي الانتماء لجماعته، سواء كانت هذه الجماعة هي أسرته أو رفاقه، بحيث يُدرك ما لديه من قدرات وإمكانات وطاقت فيترتب عليه أن يتوافق توافقاً اجتماعياً سويّاً وسليماً.

ثالثاً: مرحلة الطفولة الوسطي (من ستة إلى تسعة أعوام):

طبيعة النموّ في هذه المرحلة تتطلّب الاستمرار في إشباع حاجة الطفل إلى الأمن النفسي والطمأنينة، ممّا لها من أهمية في إحداث الاتزان الانفعالي للطفل، لأنّه كلّما شعر الطفل بالاطمئنان والأمان كلّما أيقن أنّ سلوكه الذي يصدره إنّما هو سلوك سليم وإيجابي. بالإضافة إلى قدرته على إقامة علاقات اجتماعية مثمرة تكسيه مزيداً من الخبرات الإيجابية.

رابعاً: مرحلة الطفولة المتأخرة (من تسعة إلى اثني عشر عاماً):

لا تتمثل الحاجة إلى الأمن والاطمئنان إلى تلبية حاجات الطفل الماديّة من مأكّل ومشرب وملبس فحسب، إنّما تتمثل أيضاً في مدى الإشباع العاطفي، وإحساس الطفل بأنّه لا يزال موضع القبول من والديه وبقية أفراد أسرته ومعلّميه؛ ولذا.. يجب على كلّ من الوالدين والمعلّمين أن يهتموا كثيراً بحاجات الطفل الأساسيّة، والعمل على إشباعها بالقدر المعقول والمناسب، وأن يهيئوا له مناخاً أُسرياً ومدرسياً صالحاً وسويّاً، ممّا يجعل الطفل يشعر بالثقة بنفسه وبالأخرين أيضاً؛ فيفصح عمّا بداخله من رغبات، وينفّس عمّا لديه من طاقات انفعاليّة، والتخلّص من مكبوتاته بطرق سويّة ووسائل ملائمة ومناسبة، وبهذا يسهم إشباع هذه الحاجة في المحافظة على ما لديه من أمن نفسي وطمأنينة؛ فيدفعه هذا إلى ممارسة أنواع الأنشطة المختلفة التي تُحقّق له مزيداً من الصحة النفسيّة التي نبتغيها أو نسعى إليها.

● أهم عوامل فقدان الطفل الإحساس بالأمن والاطمئنان:

أولاً: القلق النفسي:

القلق Anxiety هو المسؤول الأول عن تصدُّع الشخصية وتفكُّكها، وانقلاب السلوك عن المعايير السَّويَّة. والقلق قد ينشأ في حياة الطفل نتيجة لصُغر سنه، وجهله، أو لضعفه، فإذا حدث أي شيء غريب في الوسط المُحيط به، فقد يُسبِّب له إزعاجاً.

وهناك أمثلة كثيرة علي ذلك نذكر منها مثلاً: تحطُّم زجاج النافذة، أو الماء الذي ينساب من الصنبور بشدةٍ ولا يستطيع الطفل غلقه، أو عندما يدخل البيت شخصٌ غريب لا يعرفه الطفل.

وقد ينشأ القلق أيضاً في حياة الطفل نتيجة لعدم صفاء الجوِّ الأسري، خاصَّة تلك المُشاحنات التي تشب بين الوالدين في وجود أطفالهما، فيفقد الطفل إحساسه بالأمن الذي يستمدّه من والديه مصدر الحُبِّ والحنو ومبعث القيم السامية والمثل العُليا، وبالتالي تهتز القيم والمعايير في نفسه اهتزازاً عنيفاً ممَّا ينعكس علي سلوكه. ولذلك ننصح بتجنُّب المناقشات الحادة أمام الأطفال حفاظاً علي صحتِّهم النفسيَّة، فلا يصح أن يري أو يسمع الأطفال آباءهم وهم يتناحرون ويتصارعون فيما بينهم.

وقد يكون مصدر القلق هو إتباع الوالدين الأسلوب العشوائي المُجافٍ للأساليب التربوية القويمة، إمّا عن جهل أو ضيق أفق، كاستخدام أساليب القسوة، أو اللوم المتكرر، أو المعايير والتجاهل، أو التوبيخ والتأنيب، فيكبت الطفل هذه المشاعر المؤلمة في أعماق اللاشعور، علي حين تعاود هذه المكبوتات الظهور من حينٍ لآخر، في شكل دفاعات لا سويّة؛ فيلجأ الطفل لا شعورياً إلى التبرير، والانسحاب، والإسقاط، والعدوان، أو إلى الانطواء والإحساس بالدونية والشعور بالنقص؛ فيقضي الطفل سنوات عمّره في قلقٍ وتوتّر وصراعٍ ممّا يفقده مقومات الصحّة النفسيّة، فيقع صيداً سهلاً للأمراض النفسيّة وما يترتب عليها من تردٍ وانهيارٍ وتفكُّكٍ.

وقد أثبتت الدراسات السيكولوجيّة أنّ الشعور بعدم الأمان يُوّدي إلى القلق الذي يُوّثر بدوره تأثيراً سيئاً علي النمو الفسيولوجي، والعقلي، والانفعالي للطفل.

ثانياً: التبذ والإهمال:

هناك عددٌ من الآباء والأمهات ينبذون أطفالهم سواء بالقول أو بالفعل، الأمر الذي يترتب عليه افتقارهم الإحساس بالأمان النفسي والطمأنينة، فتتمو لديهم روح العدوانية والرغبة في الانتقام، وزيادة حساسيتهم في المواقف المختلفة ليصبحوا عنيديين وأنانيين.

وقد يؤدي هذا النبذ إلي انحرافهم أو جنوحهم، أو إلي الاستكانة والاستسلام؛ فيصيروا جبناء لا يستطيعون التركيز الذهني فيما يكلفون به من أعمال، ممَّا يؤدي إلي تخلفهم عن أقرانهم فتظهر لديهم اضطرابات الشخصية في المراحل التالية لنموهم .

وقد يُعامل الآباء والأمهات أطفالهم بنوعٍ من الإهمال وعدم الاكتراث، الأمر الذي يؤدي إلي تعرضهم للأخطار . فها هو طفلٌ يتناول جرعات من مادة سامة لأنَّ أسرته في غفلة عنه؛ فالطفل يميل - بحكم نموه - إلي حبِّ الاستطلاع، ولذلك فهو يُحاول أن يُجرِّب كُلَّ شيءٍ يُقابله في طريقه . وهذا التجريب لو تمَّ بدون رقابة والدية، فإنَّ عواقبه تكون سيئةً ووخيمة؛ لذلك نوَّكد علي أن عملية الأمن والأمان تتم من خلال تعاملُ الطفل مع كُلِّ مقومات البيئة، ومن خلال رقابةٍ ضمنية تُعطي السَّمَّاح حينما لا يكون هناك خطر علي حياة الطفل وسلامته، وتمنع حينما يكون هناك نذير بالخطر.

ثالثاً: النقد والسخرية:

من الأشياء التي تُفقد الطفل إحساسه بالأمن النفسي والطمأنينة، الإفراط في النقد أو البحث عن الأخطاء وتضخيمها، الأمر الذي يجعل الطفل يفقد الثقة بنفسه، ويزيد الأمر صعوبة إذا كان هناك أقارب يعيشون في نفس البيت، كالجد أو الجدة فيشاركون في توبيخ الطفل وتأنيبه .

وللسخرية أيضاً أثرها البالغ في فقدان الطفل إحساسه بالأمن والاطمئنان، وعلي ذلك فلا يجوز أن نسخر من أخطاء الطفل أو مخاوفه أو خجله، كما لا يجوز أن نناقش عيوب الطفل أمامه، سيما في وجود أشخاص غريباء.

ومن الأسباب الأخرى لفقدان الأطفال الصغار إحساسهم بالأمن وانعدام الثقة بأنفسهم ما يُطلقه الكبار عليهم من أوصاف، فكثيراً ما يصف الآباء أو الأمهات أو الأقارب أحد الأطفال بأنه: «خائب»، أو «سيئ الخلق»، أو «غبي».. فهذه الأوصاف، وغيرها، تؤدي إلي فقدان الشعور بالأمن والاطمئنان. بينما تُطلق عكس هذه الأوصاف علي أخيه أو أخته، ممّا يُزكي شعور الطفل بالغيرة والنفور والكرهية.

رابعاً: فرط الحماية:

الحماية المفرطة ترجع إلي رغبة الأم — علي غير وعي منها غالباً — في إبقاء الطفل معتمداً عليها اعتماداً كاملاً ودائماً !! فهي التي تطعمه، وهي التي تلبسه ثيابه، وهي التي تُساعده في قضاء حاجته وتظيف جسده، علي حين يكون الطفل السوي قد تعلّم منذ أمد طويل كيف يعني بنفسه في كل هذه الجوانب والأمور. وبذلك يبقى طفلها غير مُكتمل النضج، وغير قادر علي الاندماج مع الأطفال الآخرين بسهولة. والطفل الصغير المحاصر بهذه المشاعر كثيراً ما يغضب علي أمه لأنها لم تمنحه الاستقلال والحرية.

وتظهر الحماية المُفرطة في أشكال مُتعدِّدة، فقد لا تسمح الأم لطفلها بالخروج في نزهة خوفاً من تعرُّضه للحوادث، أو من أن يلعب مع الأطفال الآخرين حتى لا يكتسب سلبياتهم أو أسلوبهم غير المهذب، وهي الأم التي تمنع طفلها من اللُّعب في المنزل علي هواه وتتدخل باستمرار لمساعدته أثناء لعبه، وهي التي تُشجعه علي استخدام كلمات الأطفال الصِّغار بل تقوم بتدليله كالصِّغار عندما يكون قد أصبح صبياً كبيراً.

هذا وتظهر الحماية المُفرطة عندما تكون الأم قد مرَّت بحياة غير سعيدة، فتبذل جهدها لتحصل من طفلها علي أكبر قدر ممكن من الحُبِّ، وقد تظهر هذه الحماية خاصَّة إذا كان والد الطفل قد توفِّي، أو إذا جاء الطفل بعد انتظار طويل، أو إذا كان من جنس مطلوب (ذكر مثلاً) وكان مولده بعد كثير من الأطفال من الجنس الآخر (الإناث) .

ومن المعروف أن هؤلاء الأطفال ينزعون إلي التمرد علي هذه الحماية المُفرطة بمُجرد أن يستطيعوا الإفلات من المنزل، وهؤلاء معرضون للحوادث أكثر من غيرهم من الأطفال .

● الطفل آمن في بيته .. متوجس خارجه !!

يكون الطفل – في الغالب – آمناً في بيته، سيما إذا كانت العلاقة بين الطفل وأبويه علاقة يسودها دفء المشاعر من حبِّ

وحنانٍ وإيثارٍ، هذا من جانب، كما يُحسّ الطفل بالأمن والاستقرار متى كانت القيم داخل نطاق الأسرة تميل إلي المرونة وعدم المغالاة في الضوابط والنواهي من جانبٍ آخر.

علي أن الطفل إذا ذهب إلي مكانٍ لم يره إلا لأول مره أحس بالخوف والرّهبة، فنجدّه صامتاً، وإذا تحدث فإنّه يكون قليل الكلام، ويمتنع أحياناً عن تناول الطعام والشراب الذي يُقدّم إليه، وهو لا يجرؤ كذلك علي اللّعب مع أقرانه الغريباء.

وهذه كلّها في حقيقة الأمر ظواهر نتجت من عدم إحساسه بالأمن، ولكن إذا ما تكرّرت زيارته لهذه الأماكن، وتردّد عليها بين الحين والآخر، نراه وقد استوعب جيداً قواعد وضوابط وقيم هذه الأماكن وبالتالي يتخلّص تدريجياً من الإحساس المزمن بفقدان الأمن.

● أشياء مُعتادة بالنسبة للطفل تجعله يشعر بالأمان !!

قد يتشبّث الطفل بمصاحبة لُعبه التي يؤثّرُها ويحبّها أثناء ذهابه إلي الفراش، فقد يصطحب الطفل جواده (حصانه)، أو عرّيته، وقد تصطحب الطفلة عروسيتها قبل أن تستغرق في النوم. وكلّ هذه الأمور مدعاة لطلب الأمن والأمان. كذلك يشعر الطفل بالأمن إذا نام في فراشه المُخصّص له دون أن تدعوه الظروف إلي استبداله أو تغييره.

وقد يُفضِّلُ الطفل سماع القصص والحكايات من أبويه وذويه بنفس الكلمات المعتادة أو المألوفة كي يشعر بالأمن والاطمئنان، واعتياد الطفل لنفس الشيء سواء اللُّعب أو الأماكن أو الأشخاص، يُعطيهِ الإحساس بالأمن والأمان. وهذا ما يُفسِّرُ انزعاج الطفل عند رؤيته أشخاصاً غرباء غير مألوفين لديه، ولكن حينما يألف الطفل هؤلاء الأشخاص يتلاشي الخوف والانزعاج، ليحلَّ بدلاً منه التعودُّ والحُبُّ والترحيب والاندماج.

● الشعور بالأمن .. والثقة بالنفس:

إنَّ كُلَّ طفلٍ سَوِيٍّ عندما يبلغ سنَّ التسعة أشهر أو نحوها يبتهج بالثناء والتشجيع، وهو يزهو بقدرته علي اكتساب مهارات جديدة، وعلي عمل أشياء مُعيَّنة دون مساعدة من جانب الكبار. ولذا فإنَّه يحتاج إلي الحرِّيَّة حتى يتمكَّن من اكتساب الخبرة، لكنَّها يجب أن تكون حرِّيَّة في حدود النظام والطاعة.

وفي هذه السن أيضاً يبدأ الطفل في تكرار الأفعال التي يضحك منها الكبار، ثمَّ ينمو معه هذا الميل لجذب الانتباه واستردار التشجيع حتى يبلغ أربع سنوات، فهذه التصرفات وغيرها تتم عن حاجته إلي الحُبِّ والأمن والتشجيع، وهي حاجة طبيعية.

وعلي ذلك فلا يجب أن يخشي الآباء إفساد أبنائهم بالتشجيع أو بإطراء مواهبهم، فلا مانع من الثناء علي ما يرسمه الطفل من لوحاتٍ حتى وإن كانت متواضعة المستوي، وأن نستمع باهتمامٍ إلي ما يرويهِ من قصصٍ وحكاياتٍ حتى وإن كانت غير مشوقة، فإذا لم نفعل ذلك شعر الطفل بخيبة الأمل، وكف عن عرض إنجازاته علينا.

وبعد بلوغ الطفل سنِّ العام والنصف يجد متعة في المشاركة في الأعمال المنزليَّة، وفي أداء بعض الأعمال بيديه بعد أن يُراقب أمه أثناء أدائها . وكلُّ ذلك يحتاج إلي تشجيع ويحتاج أيضاً إلي مساعدة وخاصة في الأيام الأولى . ولكن ما أن يغدو الطفل قادراً علي القيام بهذه الأعمال دون مساعدة حتى يكون من واجب الأم أن تتركه يفعل كل ما يستطيع بمفرده .

وحينما يبلغ الطفل عامين من عُمره لابد أن يُشجع علي خلع ملابسه بنفسه وعلي ارتداء جواربه وأحذيته أيضاً، نعم . . الطفل في سنِّ العامين يستغرق وقتاً أطول من طفل الثلاثة أو الأربعة أعوام مثلاً، ولكنَّه بذلك إنمَّا يتعوَّد الاستقلال ويكتسب إحساساً بالأهمية، ويتعلَّم كيفية استخدام يديه، وكلُّ هذا يمنحه إحساس الثقة بالنفس، ومن ثمَّ يتهيأ للمهام الكبرى التي ستواجهه في المستقبل بثقةٍ واطمئنان .

لا بدّ أن نعي إذاً أنّ التشجيع يصنع المعجزات، في حين لا يؤدي الغضب والضييق وتثبيط الهمة إلّا إلى الإضرار بالطفل، فمن السهل أن نقول للطفل: «أنت طفلٌ عنيّدٌ لا فائدة منك»، أو نقول له: «إنّ متاعبك أكثر من نفعك»، عندها يفقد الطفل إحساسه بالثقة في النفس، وبالتالي يُحس أن البيئة الأسرية لا توفر له حاجته إلى الأمن والاطمئنان.

ونوه٠٠ بأنّ الغضب الذي نوجهه للطفل إنّما يفقده الثقة بنفسه وبأمنه واطمئنانه، فإذا حدث مثلاً أن أسقط الطفل كوباً من الماء وهو يهيم بتناوله، فالأفضل للآباء والأمهات أن يُقدِّروا هذا الأمر تقديراً صحيحاً علي أساس أنّه خطأ غير مقصود من الطفل، إذ من الخطأ البالغ أن نمنعه من المساعدة أو الاعتماد علي النفس مستقبلاً، كما أنّنا نُخطئُ أشدّ الخطأ إذا بالغنا في القلق تجاهه.

كما أنّ النصح المستمر بالحذر والانتباه لا يُجدي شيئاً، فالطفل يتعودّ تجاهل هذه التحذيرات المستمرة، ومن الخطأ أيضاً أن نُحمّل الطفل شديد الحساسية مسؤوليّة لا يكون قد تهيأ لحملها؛ لأنّ إخفاقه قد يؤدي إلي فقدان الثقة بالنفس، وبالتالي فقدان أمنه واطمئنانه.

